تفسير ابن كثير

يقول تعالى إخبارا عن موسى وهارون عليهما السلام أنهما قالا متسجيرين باﷲ تعالى شاكيين إليه : { إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى } يعنيان أن يبدر إليهما بعقوبة أو يعتدي عليهما فيعاقبهما وهما لا يستحقان منه ذلك قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : أن يفرط يعجل وقال مجاهد : يبسط علينا وقال الضحاك عن ابن عباس أو أن يطغى : يعتدي { قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى } أي لا تخافا منه فإنني معكما أسمع كلامكما وكلامه وأرى مكانكما ومكانه لا يخفى علي من أمركم شيء واعلما أن ناصيته بيدي فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يبطش إلا بإذني وبعد أمري وأنا معكما بحفظي ونصري وتأييدي .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد اﷲ قال : لما بعث اﷲ D موسى إلى فرعون قال : رب أي شيء أقول ؟ قال : قل هيا شراهيا قال الأعمش : فسر ذلك : أنا الحي قبل كل شيء والحي بعد كل شيء إسناده جيد وشيء غريب { فأتياه فقولا إنا رسولا ربك } قد تقدم في حديث الفتون عن ابن عباس أنه قال : مكثا على بابه حينا لا يؤذن لهما حتى أذن لهما بعد حجاب شديد .

وذكر محمد بن إسحاق بن يسار أن موسى وأخاه هارون خرجا فوقفا بباب فرعون يلتمسان الإذن عليه وهما يقولان : إنا رسولا رب العالمين فآذنوا بنا هذا الرجل فمكثا فيما بلغني سنتين يغدوان ويروحان لا يعلم بهما ولا يجترىء أحد على أن يخبره بشأنهما حتى دخل عليه بطال له يلاعبه ويضحكه فقال له : أيها الملك إن على بابك رجلا يقول قولا عجيبا يزعم أن له إلها غيرك أرسله إليك قال ببابي ؟ قال : نعم قال : أدخلوه فدخل ومعه أخوه هارون وفي يده عصاه فلما وقف على فرعون قال : إني رسول رب العالمين فعرفه فرعون وذكر السدي أنه لما قدم بلاد مصر ضاف أمه وأخاه وهما لا يعرفانه وكان طعامهما ليلتئذ الطفيل وهو اللفت ثم عرفاه وسلما عليه فقال له موسى : يا هارون إن ربي قد أمرني أن آتي هذا الرجل فرعون فأدعوه إلى اﷲ وأمرك أن تعاونني قال : افعل ما أمرك ربك فذهبا وكان ذلك ليلا فضرب موسى باب القصر بعصاه فسمع فرعون فغضب وقال : من يجترىء على هذا الصنيع الشديد فأخبره السدنة والبوابون بأن ههنا رجلا مجنونا يقول إنه رسول اﷲ فقال علي به فلما وقفا بين يديه قالا وقال لهما ما ذكر اﷲ في كتابه .

وقوله : { قد جئناك بآية من ربك } أي بدلالة ومعجزة من ربك { والسلام على من اتبع الهدى } أي والسلام عليك إن اتبعت الهدى ولهذا لما كتب رسول اﷲ صلى اﷲ عليه وسلّم إلى هرقل عظيم الروم كتابا كان أوله [بسم اﷲ الرحمن الرحمن من محمد رسول اﷲ إلى هرقل عظيم

الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام فأسلم تسلم يؤتك ا أجرك مرتين] وكذلك لما كتب مسيلمة إلى رسول ا صلى ا عليه وسلّم كتابا صورته من مسيلمة رسول ا إلى محمد رسول ا سلام عليك أما بعد فإني قد أشركتك في الأمر فلك المدر ولي الوبر ولكن قريشا قوم يعتدون فكتب إليه رسول ا صلى ا عليه وسلّم [من محمد رسول ا إلى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإن الأرض يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين] ولهذا قال موسى وهارون عليهما السلام لفرعون { والسلام على من اتبع الهدى * إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى } أي قد أخبرنا ا فيما أوحاه إلينا من الوحي المعصوم أن العذاب متمحض لمن كذب بآيات ا وتولى عن طاعته كما قال تعالى : { فأما من طغى * وآثر الحياة الدنيا * فإن الجحيم هي المأوى } وقال تعالى : { فأنذرتكم نارا تلظى * لا يصلاها إلا الأشقى * الذي كذب وتولى } وقال تعالى : { فلا صدق ولا صلى * ولكن كذب وتولى } أي كذب بقلبه وتولى بفعله